أسباب حادثة كربلاء

زمن الدولة السعودية الأولى

مبحث من رسالة : (الدولة السعودية الأولى و الدولة العثمانية : دور الأحساء و العراق في استراتيجية الدولتين) ؛ للدكتور محمد الخضيري

الدولة السعودية الأولى
و
الدولة العثمانية

دور الأحساء والعراق في استراتيجية الدولتين

الدكتور
محمد بن سليمان بن عبد العزيز الخضيري

بلغه الخبر بوجود قبائل كثيرة من شمر تحت قيادة رئيسها مطلق بن محمد الجرباء، ومعهم قبائل الضفير، وآل بعيج، والزقاريط مجتمعين على ماء الأُبيّض، فأرسل الأمير سعود فرقة من جيشه وأمرها بمهاجمة تلك القبائل، فحصل بينهم قتال، سقط فيه عدد من القتلى، وقد خسرت شمر في هذه المعركة زعيمها مطلق الجرباء، كما غنمت القوات السعودية بعض الغنائم. وقد قتل من الجانب السعودي خمسة عشر رجلاً منهم: براك بن عبدالمحسن، رئيس بني خالد، ومحمد العلي، رئيس المهاشير.[٢٥]

الحملة العسكرية على كربلاء:

تعتبر الحملة العسكرية الكبيرة التي قام بها الأمير سعود لمعاقبة العشائر العراقية المناوئة للدولة السعودية، أهم الحملات الحربية التي تبودلت بين الدولة السعودية وولاة العراق في العهد العثماني. كما أن واقعة كربلاء،[٢٦] التي حدثت أثناء هذه الحملة، قد

---

[٢٥] لمع الشهاب، مصدر سابق، ص ٨٨؛ خزعل، مرجع سابق، ص ٢٨٣.

[٢٦] كربلاء: بالمد، وهو الموضع الذي قتل في الحسين بن علي رضي الله عنه، في طرف البرية عند الكوفة. فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين يقال جاء يمشي مكربلاً، فيجوز على هذا أن تكون أرض الموضع رخوة فسميت بذلك، ويقال كربلت الحنطة إذا هذبتها ونقيتها فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منتقاة من الحصى فسميت بذلك. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص٤٤٥. وقيل: إن لفظة كربلاء مأخوذة من كلمة كور بابل العربية، بمعنى مجموعة قرى بابلية منها نينوى. وقيل أيضاً: إنها فارسية المصدر مركبة من كلمتين هما: (كار) أي عمل و (بالا) أي الأعلى، فيكون معناها العمل الأعلى، أي السماوي، وبعبارة أخرى محل الصلاة. أنظر عبدالستار البعاج، **ماضي العراق وحاضره**، ص ٥٨. أما وصفها فقد ذكر أن كربلاء مدينة كبيرة وبها أسواق كثيرة، وتحفها النخيل، ويسقيها ماء الفرات من نهر الحسنية. وتقع الروضة في وسط المدينة، وفي وسط الروضة قبر الحسين، كما يوجد في كربلاء مشهد العباس بن علي، وقبور جميع من استشهد من آل

وتّرت العلاقة بين الدولة السعودية الأولى من جهة، وكل من ولاة العراق والدولة العثمانية من جهة أخرى. ولم تكن أهمية هذه الواقعة أنها أكبر معركة جرت بينهما، أو أن هيبة الدولة العثمانية، وولاية بغداد بالذات، قد نيل منها بسببها، وإنما مكمن الخطر أن واقعة كربلاء استغلت استغلالاً سيئاً من جانب الدولة العثمانية ضد الدولة السعودية، وبالذات استغلت استغلالاً دينياً مما ألهب حماس عامة الناس في كل من العراق وإيران ممن لا يعرفون تفاصيل وأهداف الحملة السعودية أو يتجاهلونها.

ومع أنها ليست المرة الأولى التي تهاجم فيها كربلاء، ولم تكن الأخيرة، إذ سبقها ولحقها هجومين وقعا عليها خلال مطاردة القوات السعودية لمناوئيها، الذين يقومون بأعمال داخل أراضي الدولة السعودية، ثم يلتجئون إلى الأراضي العراقية. ومع أن الجيش السعودي هاجم كربلاء لعدة أسباب، سنعرض لها لاحقاً، إلا أن كثيراً من المؤرخين تجاهلوا هذه الأسباب، وبقيت أحداث هذه الواقعة هي العالقة في أذهان الكثير منهم. وسنحاول أن نبيّن الأسباب التي أدت إلى واقعة كربلاء، ثم نقارنها بما حدث لهذه المدينة من حملات على يد قوى أخرى، أشد وأعنف، وخصوصاً ما حدث لها على يد نجيب باشا عام ١٢٥٨هـ، لندرك أن الدولة العثمانية استغلت هذا الموقف لتستفيد منه في نزاعها مع الدولة السعودية الأولى.

أسباب قيام الحملة السعودية:

سبق أن بيّنا تفاصيل الحملات الحربية المنظمة التي وجهتها الدولة العثمانية ممثلة

البيت. وأكثر أهل كربلاء أمامية اثنا عشرية، وفيها قليل من أهل السنة والجماعة. انظر: محمد رشيد سعدي، **قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين**، ص ٣٧.

بوالي بغداد، سليمان باشا الكبير، ضد الدولة السعودية، وأهمها الحملة الأولى التي قادها ثويني العبدالله، والحملة الثانية التي قادها علي كيخيا، وعرفنا نتائجهما، وأنه كان من شروط الصلح بين علي كيخيا والأمير سعود بن عبدالعزيز عقد هدنة مدتها ست سنوات، ولكن لم يقدر لهذه الهدنة أن تستمر سوى عام واحد. وسبب ذلك أن قبيلة الخزاعل الموالية لوالي بغداد هاجمت في عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م أتباع الدولة السعودية قرب النجف، وقتلت منهم عدداً من الرجال.[٢٧] يقول أحمد عبدالغفور عطار في هذا المجال: "ولما يئس الوالي من الانتصار على ابن سعود، رأى أن يلحق به الأذى والإهانة والتنكيل، فأوعز إلى رجاله أن يقطعوا الطريق على قوافل الحجاج المسافرة تحت حماية الأمير السعودي، وأخذوا يقطعون السبيل على كل عابر، وداهمت قبيلة الخزاعل قافلة من تلك القوافل، فنهبت أموالها، وسلبت ما استطاعت وقتلت بعض الرجال".[٢٨] ويبدو أن هؤلاء كانوا في طريقهم للمسابلة مع النجف، ولكن الخزاعل ظنوا أنهم يقصدون غزوهم، فقتل من قتل، وجرح من جرح من الطرفين، وعاد من استطاع الفرار إلى وطنه.[٢٩] وفي رواية أخرى يذكر لوريمر أن السعوديين احترموا الصلح المعقود بينهم وبين والي بغداد حتى قام بعض الأعراب بمهاجمة قافلة من الحجاج الإيرانيين يحرسها أحد أتباع الدولة السعودية بين الحلة والنجف، ونهبوها، فاعتبر السعوديون هذا العدوان خرقاً للصلح المعقود بينهما.[٣٠]

---

[٢٧] الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢١٣.

[٢٨] أحمد عبدالغفور عطار، **صقر الجزيرة**، ج ١، ص ١٧٧.

[٢٩] العمري، مرجع سابق، ص ص ٥٣-٥٤؛ السوداني، مرجع سابق، ص ٣٢.

[٣٠] لوريمر، مرجع سابق، ج٣، ص١٥٨٣. وانظر كذلك:

Brydges, op. cit. vol. 2. p. 27; Burckhardt , op. cit. vol. 2. p. 186.

وهكذا أكد جميع المؤرخين المسلمين وأغلب المؤرخين الغربيين أن الاعتداء وقع من جانب الخزاعل العراقيين على فرقة سعودية كانت تحرس قافلة من حجاج إيران كانوا في طريق عودتهم من الحج إلى أوطانهم.[٣١] وفي هذه المناسبة يجدر الإشارة إلى خطأ وقع فيه لونكريك عندما ذكر أن السعوديين هاجموا حجاج الخزاعل بالقرب من نجد، كما هاجموا الحجاج الإيرانيين في المكان نفسه مما سبب واقعة كربلاء.[٣٢]

وعلى العموم، فقد اعتبر الإمام عبدالعزيز هذه الأعمال العدائية من جانب الخزاعل خرقاً للاتفاق الذي عقد بينه وبين والي بغداد، ولهذا قام على الفور بالاحتجاج الشديد على مقتل أتباعه، كما قام بكتابة رسالة إلى سليمان باشا، والي بغداد، يطلب فيها، دفع ديات القتلى، مهدداً بإلغاء الصلح ونقضه في حالة عدم تسلمه الديات.[٣٣] وقد أدرك والي بغداد حساسية الموضوع، فكلف عبدالعزيز بن عبدالله الشاوي بزيارة الدرعية بعد موسم الحج، والتباحث مع الإمام عبدالعزيز حول هذا الموضوع، وحول إمكانية عقد صلح بينهما على اعتبار أن القتلى من الجانبين.[٣٤] ولكن الإمام عبدالعزيز لم يقتنع بهذا الرأي وقال كلمته المشهورة، التي تدل على ثقته بالله ثم بقواته وأنه يدافع عن حوزة الإسلام: "أما كفى الوزير أنا تاركوه يحكم بغداد، والله عن قريب ترى جميع غربي الفرات لنا وشرقيه له".[٣٥] ويشير ابن سند البصري

---

(٣١) العجلاني، **تاريخ البلاد العربية السعودية (عهد عبدالعزيز بن محمد)**، ص ١٢٩.

(٣٢) لونكريك، مرجع سابق، ص ٢٦٠.

(٣٣) السوداني، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٣٤) سركيس، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٣٥) الوردي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٨.

إلى أن الإمام عبدالعزيز كان يصر على أن يكون له غربي الفرات إلى البصرة.[٣٦] وبعد مشاورات مكثفة وضع الإمام عبدالعزيز والي بغداد أمام خيارين: إما دفع ديات القتلى، أو السماح لعشائره بالرعي ما بين عنابة والبصرة من جهة الشامية، وذلك عوضاً عن ديات القتلى، فإذا لم يوافق والي بغداد على ذلك، فلا مناص من الانتقام لسيادة الدولة السعودية، مما يعني ضمناً انهيار الهدنة بسبب نقض والي بغداد الصلح.[٣٧]

وهكذا لم تنجح مهمة الشاوي؛ حيث ذكرت بعض المصادر أنه اقتنع بوجهة النظر السعودية، وأنه عاد إلى بغداد مؤيداً للدعوة الإصلاحية السلفية.[٣٨] وقد ورد في رسالة بعثها والي بغداد إلى السلطان، أن عبدالعزيز الشاوي بايع الأمير سعود، بالأصالة عن نفسه ونيابة عن أخيه محمد بك، وتعهد أمامه بإدخال العراق كله تحت نفوذه وسيطرته.[٣٩] ويقول ابن سند البصري: "فانقلب ابن شاوي بغير ما أمله ولأجله الوزير أرسله، إلا أنه لما شرب من مائهم، وجلس بين دعاتهم وعلمائهم، مازجه من بدعتهم شبهه، ونزعة جذب إليها شبهه، فألّف له بعضهم كتاباً ألبسه من الشبهات جلباباً وسرت تلك الشبهة إلى علماء وعوام، وهلك بها خاص وعام، وخاض في بحرها من لا يؤبه له وعَام".[٤٠]

---

[٣٦] البصري، مصدر سابق، ص١٣٣. وانظر كذلك: العزاوي، مرجع سابق، ص ٣٩.

[٣٧] الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢١٣؛ العزاوي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٤٠.

[٣٨] نوار، مرجع سابق، ص ٣٩؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

[٣٩] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٤٢٩٩، من علي باشا إلى السلطان، بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية ١٢١٨هـ.

[٤٠] البصري، مصدر سابق، ص ١٣٣.

وهناك رواية أخرى تشير إلى عكس ذلك، وهي أن الشاوي أرسل مندوباً عنه إلى الوالي يخبره بالأمر ويعلمه بأن سعود اتجه نحو العراق لينتقم لقتلاهم.[٤١] وقد أيد العزاوي هذه الرواية. وفي الوقت نفسه، انتقد رواية ابن سند السابقة بقوله "وفي عبارته هذه تحامل".[٤٢] ويبدو أن الشاوي أقتنع فعلاً بالمبادئ الإصلاحية السلفية، إلا أنه لم يستطع إبداء رأيه صراحة مخافة أن يغضب عليه والي بغداد، خصوصاً أن علاقة قبيلته مع ولاة العراق لم تكن إيجابية على الدوام، وموقف سليمان الشاوي من والي بغداد أكبر دليل على ذلك. ولهذا فإن عبدالعزيز الشاوي أتمّ ما كلفه به والي بغداد ليأمن رجوعه إلى قومه وأهله.

وعلى العموم فإن نتيجة الروايتين واحدة، وهي فشل المفاوضات، وبفشلها انتقض الصلح الذي لم يمض عليه سوى بضعة أشهر، وبهذا بدأت المجابهة من جديد بين والي بغداد والدولة السعودية الأولى.

وما من شك أن هناك بعض العناصر، وخصوصاً من المنتفق، لا تؤيد المصالحة بين الطرفين، ولهذا عملت على إفساد المفاوضات. فبينما كان عبدالعزيز الشاوي يفاوض الإمام عبدالعزيز، قام أمير المنتفق بغزو بعض القبائل الموالية للدولة السعودية وأخذ منهم كمية كبيرة من المواشي.[٤٣] ويبدو أن خطة أمير المنتفق نجحت، حيث بدأ كلا الطرفين يمهد لعملية حربية ضد خصمه. فمن جانبه، أخذ والي بغداد الاحتياطات الضرورية فأرسل علي كيخيا على رأس قوة عسكرية لتحول دون هجوم السعوديين،

---

(٤١) الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢١٣.

(٤٢) العزاوي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٤١.

(٤٣) سركيس، مرجع سابق، ص ٥٠.

وقد اتجه إلى الهندية، ثم إلى نهر الشاه، وخيّم بالقرب من كربلاء. ولما علم بوجود السعوديين قرب شفاثة اتجه إليهم؛ حيث التحقت به عشائر من قبيلة العبيد، بقيادة محمد بك، كما التحق به فارس الجرباء، والعساكر النظامية التي تقدر بألفي جندي. وفي شفاثة التقوا بالقوات السعودية، لكن الجيش العراقي انسحب أولاً بعد أن أثر فيهم العطش، فلم يجد بداً من الرجوع. كما رجع السعوديون أيضاً إلى وطنهم ولم يتعرض أحد الجيشين للآخر.(٤٤) ويذكر ابن سند البصري: "أن رجوع قوات علي باشا لم يكن بسبب العطش، ولكن ادعوه كذباً، إنما هم كرهوا النزال في الحروب خوفاً على أرواحهم، وكان يمكنهم أن يقرنوا الإبل ويدخلوا وسطها، كما فعل السعوديون، ويهجموا مع الإبل سوية، ولكن ما أكثر أعذار الجبان".(٤٥) وقبل رحيل علي كيخيا، وصل عبدالعزيز الشاوي وأخبره بتفاصيل مباحثاته مع الإمام عبدالعزيز، وعندها أقام نزابة ثلاثة أشهر ثم عاد إلى بغداد، بعد أن ترك قوة كافية لتتبع أخبار السعوديين هناك. وقد وصل إلى بغداد في جمادى الثانية عام ١٢١٦هـ/ نوفمبر ١٨٠١م.(٤٦)

ومن خلال هذا الاستعراض يمكن أن تتضح الأسباب الحقيقة التي أدت إلى وقوع هذه الأحداث بين الطرفين:

أولاً: من الواضح أن غربي الفرات يضم المدن المقدسة لدى الشيعة، وأهمها كربلاء والنجف، والتي تضم كثيراً من المشاهد والمزارات والقباب، وأهمها مشهد علي ابن أبي طالب في النجف، ومشهد الحسين في كربلاء،(٤٧) وقبر موسى الكاظم في

---

(٤٤) العزاوي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٤١؛ السوداني، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٤٥) البصري، مصدر سابق، ص ١٣٤. وانظر كذلك: العجلاني، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٤٦) الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢١٤؛ العزاوي، مرجع سابق، ج ٦، ص١٤١.

(٤٧) يقوم هذا المشهد في وسط مدينة كربلاء القديمة، وتحف به أسوارها التي يبلغ ارتفاعها ١٢ متراً مؤزرة بالرخام بارتفاع مترين، ونقش أعلاها بالفسيفساء ذات الأصباغ الثابتة التي تلائم التطورات

الكاظمية قرب بغداد.[٤٨] ولما كانت الدولة السعودية قائمة على مبادئ الدعوة الإصلاحية السلفية التي ترى في المزارات والقباب تجسيداً للشرك والوثنية، التي قامت الدعوة أساساً لمحاربتها، لذلك قامت القوات السعودية، بعد حملتها على الخزاعل، بحملة على كربلاء وهدمت القبة الموضوعة على قبر الحسين بن علي رضي الله عنه.

ثانياً: يعد الهجوم الذي شنته قبائل الخزاعل ضد القافلة السعودية قرب النجف من العوامل القوية المسببة لهذه الأحداث، لأنه يعد في نظر الدولة السعودية خرقاً للاتفاق المعقود بين الإمام عبدالعزيز ووالي بغداد، كما اعتبرته من جهة أخرى تحدياً يستوجب العقاب.[٤٩]

ثالثاً: من الواضح أن الدولة السعودية لم تقتنع بشروط الصلح التي اقترحها علي كيخيا، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال رد الأمير سعود على رسالة الكيخيا، والتي

الطبيعية، ومدون في حواشيه الآيات والأحاديث الشريفة والأشعار. يبلغ طول الصحن ٩٥ متراً وعرضه ٧٥ متراً، وله ثمانية أبواب. ويحيط بالمشهد ٦٥ إيواناً، في كل واحد حجرة مغشاة جدرانها من لداخل والخارج بالفسيفساء. ويتوسط بلاط المشهد بناء الروضة الحسينية، ولها أبواب، وبجوارها قبر حبيب بن مظاهر. وقبر الحسين قائم متين الصنع عليه قطع من الفضة والذهب، ويبلغ طول القبر ١٤ متراً و٢٠ سم وعرضه تسع أمتار و١٥ سم. وفي المشهد الحسيني ثلاث مآذن كبيرة، اثنتان منها فوق المشهد مطليات بالذهب. وأول من بنى قبر الحسين بنو أسد، الذين دفنوه وأصحابه يوم استشهد. أما تعمير القبة بعد ذلك، فقد تكرر مراراً في زمن بني أمية وبني العباس، في أيام المأمون والمنتصر، ثم في أيام عضد الدولة خسرو بن بوية، وفي أيام سلطان الدولة ابن بوية ثم في أيام الإيلخانيين. ولمزيد من التفاصيل عن مشهد الحسين راجع: عبدالحميد الخياط، **تاريخ الروضة الحسينية**، ص ص ١٣-١٤؛ محسن العاملي، **أعيان الشيعة**، ج ٤، ص ص٣٠٢-٣٠٧.

[٤٨] نوار، مرجع سابق، ص ١١، الحاشية.

[٤٩] الشريقي، مرجع سابق، ص ٢٦؛ عطار، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧٧.

لم يتعهد فيها بتنفيذ شيء من الشروط. ويمكن أن يعلل ذلك بأن الدولة السعودية لا تثق بوعود والي بغداد، كما أنها تريد بهذا الصلح، وما نتج عنه من هدنة، استرجاع قوتها لحسم الموقف مع أشراف الحجاز، ثم بعد ذلك تلتفت إلى معاقبة عشائر العراق وقد اطمأنت من ناحية الحجاز.

رابعاً: أن الدولة السعودية لم تنس الحملات الحربية المنظمة والمكثفة، التي قادها كل من ثويني العبدالله وعلي كيخيا، والتي كادت أن تستولي على الأحساء كخطوة أولى في طريقها إلى الدرعية. ولذلك فإن الدولة السعودية منذ ذلك الوقت وهي ترى ضرورة معاقبة والي بغداد عندما يحين الوقت. وقد حصل ذلك عندما فشل والي بغداد في تسيير حملتين للقضاء على الدولة السعودية، فجهزت جيشاً كبيراً أسندت قيادته إلى الأمير سعود؛ حيث توغل داخل الحدود العراقية الجنوبية حتى وصل إلى العراق الأوسط ثم اتجه إلى شفاثة، فلما بلغه أن والي بغداد أعد جيشاً للقائه في مدينة كربلاء، أراد أن يفاجئه أولاً فزحف بقواته إلى هناك قبل وصول والي بغداد حيث وقعت الحادثة المشهورة.[٥٠]

وفي هذه المناسبة يجدر التنبيه إلى خطأ وقع فيه محمد أنيس عندما ذكر أن واقعة كربلاء كانت رد فعل لدى السعوديين على مقتل الإمام عبدالعزيز عام ١٨٠٠م مما دعا الأمير سعود أن يخرج عام ١٨٠١م على رأس جيش يقرب من عشرين ألف رجل إلى الفرات حتى وصل كربلاء.[٥١] وهذا الرأي لا يستقيم مع الواقع، لأن الإمام عبدالعزيز قتل عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م أي بعد سنتين من وقوع حادثة كربلاء.

---

[٥٠] خزعل، مرجع سابق، ص ص ٣٨٦-٣٨٧.

[٥١] أنيس، مرجع سابق، ص ٢٣٠؛ محمد أنيس ورجب حراز، مرجع سابق، ص ١٤٤.

استعداد الحملة السعودية:

للأسباب السابقة ولغيرها من الأسباب التي أفرزتها تصرفات الولاة العثمانيين في العراق، قام الأمير سعود بن عبدالعزيز[٥٢] بحملة كبيرة داخل الأراضي العراقية لمعاقبة قطاع الطرق من أفراد العشائر حتى وصل إلى كربلاء. وقد اختلف المؤرخون، وخاصة الغربيون منهم، في التاريخ الحقيقي لهذه الحملة: فمنهم من قال إنها قامت عام ١٨٠١م، ومنهم من قال إنها عام ١٨٠٢م، ومنهم من قال إنها عام ١٨٠٣م. وفي الوقت نفسه، اختلفوا في أي الشهور من هذه السنوات. وكما اختلف المؤرخون الغربيون في سنة وقوعها، اختلف المؤرخون المسلمون كذلك. فمنهم من قال إنها وقعت عام ١٢١٦هـ، ومنهم من قال إنها عام ١٢١٧هـ. ولكن الصحيح والثابت بأغلبية آراء المؤرخين وبمقارنة التواريخ الهجرية والميلادية أنها وقعت في ١٨ ذي الحجة عام ١٢١٦هـ/ الموافق ٢٢ أبريل عام ١٨٠٢م.

وقبل أن نفصل الحديث عن هذه الواقعة يجدر التنبيه إلى أن الروايات تتفاوت تفاوتاً كبيراً حول هذه الواقعة، وخصوصاً في ثلاث نقاط منها هي: عدد الجيش السعودي، ووصف الموقعة، والاختلاف في عدد القتلى. ويزيد هذا الاختلاف غموضاً أنه شمل روايات لمؤرخين عاصروا الأحداث، إضافة إلى روايات مؤرخين غربيين بالغوا كثيراً في وصف الموقعة. وسنحاول أن نذكر نماذج من هذه الروايات، ثم نخرج برواية جامعة شاملة. وفي الحقيقة فإن ما يهمنا من هذه الواقعة هو النتائج التي تمخضت عنها.

---

[٥٢] ذكر حسن خان صديق في كتابه **التاج المكلل**، ص٣٠٣، أن الإمام عبدالعزيز هو الذي كان على رأس الحملة. وهذا خلاف الواقع إذ أن الإمام عبدالعزيز في ذلك الوقت كان قد فوض أمر قيادة الجيش إلى ابنه سعود، وقد أكد جميع المؤرخين أن هذه الحملة كانت بقيادة الأمير سعود.

أما عدد أفراد الجيش السعودي فقد اختلفت فيه الروايات التاريخية اختلافاً كبيراً، إذ بالغ بعضها إلى حد كبير، فقدر أن عدد الجيش يبلغ ستين ألف راجل، بالإضافة إلى ألفين وخمسمائة فارس.[٥٣] وتذكر رواية أخرى أن عددهم بلغ خمسة وعشرين آلفاً.[٥٤] وفي المقابل قلل بعضهم عدد الجيش السعودي كثيراً بأن قدر عددهم بستمائة هجان وأربعمائة فارس. وذكرت رواية أخرى العدد قريباً من ذلك عندما ذكرت أن عددهم يقدر بألف محارب.[٥٥] وبين هؤلاء وأولئك قدرت بعض الروايات عددهم بستة عشر ألف رجل.[٥٦] وقدرتهم روايات أخرى ما بين ستة آلاف واثني عشر ألف مقاتل.[٥٧] أما الرواية التي أجمع عليها عدد كبير من المؤرخين فهي رواية لمع الشهاب الذي قدر تعداد الحملة بعشرين ألف مقاتل.[٥٨]

هذه أهم الروايات التي قدرت عدد أفراد الحملة السعودية، وقد أوردناها لندلل

---

[٥٣] عبدالله محمد الحبيشي، "تاريخ الدعوة الوهابية في مخطوط يمني"، **مجلة العرب**، المجلد السابع، ج ١، رجب ١٣٩٢هـ، ص ٣٨.

[٥٤] عبدالحسين الكليداز آل طعمه، **بغية النبلاء في تاريخ كربلاء**، ص ٣٥، أبو طالب خان، مرجع سابق، ص ٣٨٤.

[٥٥] انظر عن هذه الروايات: لونكريك، مرجع سابق، ص ٢٦١؛ عبدالمنعم الغلامي، **الملك الراشد**، ص ١١، الوائلي، مرجع سابق، ص ٥٦.

[٥٦] العمري، **مخطوط غرائب الأثر**، ص ٥٨. وانظر كذلك: العجلاني، مرجع سابق، ١٢٧.

[٥٧] انظر عن هذه الروايات: لوريمر، مرجع سابق، ج ٣، ص ص١٥٨٣-١٥٨٤؛ كلي، **بريطانيا والخليج**، ج ١، ص ١٥٧.

[٥٨] لمع الشهاب، مصدر سابق، ص ٨٨.

على ما قلنا سابقاً من اختلاف الباحثين في كل ما يتعلق بهذه الواقعة، وقد ظهر جلياً مدى المبالغة من بعضهم، والتواضع من البعض الآخر.

وأمام هذا التفاوت غير الطبيعي في عدد أفراد الجيش السعودي، يجدر التنبيه إلى أننا نؤرخ لفترة سبقتنا بأكثر من قرنين من الزمان، وذلك في فترة كان التعداد، وخصوصاً تعداد الجيوش، يتم بالطرق البدائية، مما يحتمل معه الزيادة أو النقص. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الدولة السعودية الأولى بالذات لم تكن تهتم بالناحية التنظيمية في الجيش، ومنها الإحصائيات عن عدد أفراد الجيش؛ وذلك لأنها تعتمد في حملاتها على رجال القبائل والعشائر الذين يُندبون للقيام بمهمة معينة ثم يعودون لسابق عملهم، وهو ما يسمى عندهم (النفير العام). كما كانت الدولة تعتمد على ما عرف بالخويا حتى عهد قريب.[٥٩]

وفي تحرينا للحقيقة، فإننا نعتقد أن من بالغ وقد عدد الجيش السعودي بأكثر من ستين ألفاً، أو من تواضع وقدره بألف، أو حتى بخمسة، أو ستة آلاف قد جانبهما الصواب لسبب بسيط، وهو أن حملة كبيرة ذات استعداد معين لا يعقل أن تخرج بهذا العدد القليل، كما أنه لم يكن من السهل عليها أن تجمع عدداً كبيراً يبلغ ستين ألف مقاتل. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الحملات السعودية الموجهة لغرض معين، وهو في هذه الحالة معاقبة العشائر العراقية، كانت عادة تتراوح بين العشرة والعشرين ألف رجل. ومن هنا فإننا نؤيد الرواية التي تذكر أن عدد الجيش السعودي في هذه الحملة بلغ عشرين ألف مقاتل. كما أن رواية ابن بشر التي ذكر فيها أن الأمير

---

[٥٩] الخويا :هم الحرس الخاص للإمام أو الأمير،وهم لا يحملون الصفة العسكرية،ويتمنطقون بالسلاح الخفيف.

سعود سار على رأس جيش من جميع حاضرة نجد وباديتها، والجنوب، والحجاز، وتهامة، ما يشير، ولو ضمناً، إلى أن عدد هذا الجيش يقارب العشرين ألف مقاتل.[٦٠]

تفاصيل الحملة العسكرية:

وكما كان الاختلاف في عدد الجيش السعودي كبيراً، فإن الاختلاف في تفاصيل أحداث المعارك كان أكثر تشعباً وتفاوتاً، وذلك لأن ما نتج عن هذه المعارك، وخاصة واقعة كربلاء، قد مست العاطفة الدينية لدى كثير من المؤرخين، ولذلك فمن الصعب تجريدها من الأهواء. كما أن بعض الروايات، وخصوصاً الغربية منها، لم تعتمد على مصادر موثوقة، وربما اعتمدت على بعض تلك الروايات المتعاطفة، ومن هنا جاء وصفها لتلك الأحداث بعيداً كل البعد عن الحقيقة.

وعلى هذا، وبناء على تشعب وكثرة هذه الروايات فإننا سنحاول أن نستخلص منها ما يقربنا إلى وصف حقيقة ما حدث في كربلاء دون مبالغة أو تهويل. ففي عام ١٢١٦هـ قام الأمير سعود بن عبدالعزيز على رأس حملة كبيرة من حاضرة نجد وباديتها، ومن الجنوب والحجاز وتهامة وغيرها لمعاقبة العشائر العراقية. وقد قدّر عدد أفراد الحملة على أرجح الآراء بعشرين ألف مقاتل، أغلبهم من الجند غير النظامي. وفي شهر ذي الحجة وصلت الحملة إلى كربلاء، وكان دخول القوات السعودية إلى هذه البلدة لهدفين: الأول، معاقبة قبيلة الخزاعل، والثاني: إزالة القباب والمشاهد الموضوعة على قبر الحسين وبعض القبور الأخرى، خاصة أن هذه القبور والمشاهد أخذت طابعاً خاصاً لدى عامة الناس هناك، حتى بدأ الكثير من سكان

---

[٦٠] ابن بشر، مصدر سابق، ج١ ص ١٦١.

العراق وإيران يحجون إليها معظمين لها كتعظيم الكعبة، حتى بلغ بهم الأمر أنهم يبيعون التراب من المكان الذي قيل إن الحسين استشهد فيه.[٦١] بل تعدى الأمر ذلك إلى حد أنهم كانوا يستغيثون بالحسين،وكانوا يصلّون إلى القبر ويستدبرون الكعبة.[٦٢]

ولما كانت كربلاء محاطة بسور، فقد قام الأمير سعود بتقسيم قواته إلى ثلاثة أقسام. ومن ظل أحد الخانات هاجموا أقرب باب من أبواب كربلاء، فتمكنوا من فتحه ودخلوا المدينة. وكان أول عمل قاموا به هدم القبة الموضوعة على قبر الحسين، وبعض القباب الأخرى؛ لاعتقادهم أن التقديس الذي يحظى به قبر الحسين يتنافى مع العقيدة الإسلامية، وأن منع هذا العمل هو من أسس الدعوة الإصلاحية السلفية التي قامت الدولة لتعضيدها ونشرها.[٦٣] وبالتالي فانهم مقتنعون بأن ما وضع عليه من جواهر، وما كسي به من زخارف وحلي وصفائح ذهبية، إنما وضعت لتعظيم هذا القبر. ولّما كان هذا القبر يحصل فيه من الشرك مع الله ما يتنافى مع عقيدة المسلمين، فإن ما وضع فيه من جواهر، وزخارف يعد غنيمة للمسلمين. وقبيل الظهر من ذلك اليوم أنهت القوات السعودية مهمتها في كربلاء، ثم ابتعدت مسافة يوم عنها حيث نزل الجيش في مكان يسمى الأبيّض، وفيه قسمت الغنائم على الجيش بعد عزل الخمس المنصوص عليه شرعاً، وهذا يدل على أنهم اعتبروا ما أخذوه من كربلاء في عداد الغنائم.[٦٤]

---

(٦١) خان، مصدر سابق، ص ص ٣٨١-٣٨٢.

(٦٢) الحبيشي، مرجع سابق، ص ص ٣٨-٣٩.

(٦٣) لوريمر، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٥٨٣.

(٦٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه الروايات راجع: ابن بشر، ج ١، ص١٦١؛ البصري، مصدر سابق، ص١٣٥؛ لمع الشهاب، مصدر سابق، ص ص ٨٨-٨٩؛ العجلاني، مرجع سابق، ص ص ١٢٧-١٢٨؛ خان، مصدر سابق، ص ص ٣٨١-٣٨٢.

ومع أن والي بغداد أقام الدنيا و لم يقعدها بسبب هذه الواقعة، وما حصل عند قبر الحسين، والغنائم التي أخذها الجيش، إلا أنه وقف عاجزاً أمام تهديد شاه إيران عندما أعد ثلاثين ألفاً من العساكر لزيارة المشهد الحسيني "وتحصيل مال سيد الشهداء"، واكتفى والي بغداد من جانبه بجمع العساكر الكثيرة، و لم يُخف حرصه على تنفيذ ما أوصته به الدولة العثمانية من حسن معاملة التجار الإيرانيين وسكان إيران عموماً، وصيانة أموالهم وإكرام سفرائهم، وعدم التقصير في واجب الضيافة.[٦٥]

وهناك نقطة جديرة بالتنبيه، وهي أن كثيراً من المؤرخين بالغوا كثيراً في عدد القتلى؛ فقد ورد في بعض الروايات أن عدد القتلى بلغ في ليلة واحدة عشرين ألف شخص.[٦٦] كما ورد في رواية أخرى أن عدد القتلى بلغ ثمانية آلاف، ويقال إنه قتل عند ضريح الحسين خمسين شخصاً وفي الصحن خمسمائة.[٦٧] وقد قدر ابن بشر عدد القتلى بألفي شخص. وفي الحقيقة فإن من الصعوبة تقدير عدد القتلى في وقت لم يكن عدد الجيش نفسه معروفاً. والأقرب إلى الحقيقة أن عدد القتلى ليس كبيراً، لكون الحادثة وقعت بينما كان أهل كربلاء يحتفلون بأحد أعيادهم خارجها، و لم يكن فيها إلا بعض الرجال المستضعفين.

ومع أن هؤلاء القتلى سقطوا نتيجة الأحداث التي وقعت في كربلاء، إلا أنه ثبت أن هناك بعض من استغلوا فرصة الأحداث في كربلاء فأغاروا عليها أثناء، وبعد

---

[٦٥] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٦٦٧٥، من علي باشا، والي بغداد، إلى السلطان، بتاريخ ١٦ شوال ١٢١٨هـ.

[٦٦] آل طعمة، مرجع سابق، ص ٣٣.

[٦٧] الوردي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٠.

رحيل القوات السعودية، وخصوصاً الأعراب المجاورين لها، وبعض قطاع الطرق الذين تزيوا بزي السعوديين حتى لا ينكشف أمرهم.[٦٨]

ومن جهة أخرى لم تشر المصادر إلى خسائر الجيش السعودي من القتلى، وقد علل بعض الباحثين ذلك بأن السعوديين لا يتركون قتلاهم بل يحملونهم معهم وهم عائدون.[٦٩] ومع أنه من الطبيعي أن يسقط عدد من القتلى، خصوصاً في مثل هذه الحملة، إلا أن التعليل المذكور بعيد الاحتمال؛ إذ أن من الصعوبة حمل القتلى من العراق إلى نجد، ثم إن العراق بلاد إسلامية فليس هناك ما يمنع من دفنهم هناك. وعلى كل حال، فقد أغفل المؤرخون ذكر عدد القتلى، كما أغفلوا مكان دفنهم. وكدليل على وجود قتلى من الجانب السعودي، يقول لطف الله جحاف، وهو مؤرخ معاصر للأحداث: "وقد قتل جند النجدية بعضهم بعضاً غلطا".[٧٠]

ومما يؤيد قلة عدد القتلى من الجانبين أنه لم تحدث مجابهة بين القوات السعودية وقوات والي بغداد، سواء داخل كربلاء أم بعد انسحاب القوات السعودية. ويذكر أبو طالب خان أن الناس كانوا يتهمون عمر آغا، حاكم البلدة، بأنه كان متواطئاً مع القوات السعودية، حيث قام بمكاتبتهم ولم يعمل شيئاً لحماية البلدة. ولكن الثابت أنه هرب إلى قرية مجاورة لكربلاء عند أول علمه بالخطر، فلم يدافع عنها، ولهذا غضب عليه سليمان باشا وأصدر عليه حكماً بالقتل.[٧١]

---

[٦٨] خان، مصدر سابق، ص ٣٨١-٣٨٢.

[٦٩] السوداني، مرجع سابق، ص ٣٤.

[٧٠] الحبيشي، مرجع سابق، ص ٣٨.

[٧١] خان، مصدر سابق، ص ٣٨٦.

ومن جهة أخرى، أشارت بعض المصادر إلى أن والي بغداد سليمان باشا كان على علم بهجوم الأمير سعود على كربلاء. يقول العزاوي: إن سليمان باشا كان في بغداد وقت وقوع الحادث، وأنه ذهب إلى الخالص خوفاً من طاعون وقع في بغداد بعد أن رتب أمور كربلاء بعد الحادث.[٧٢] أما الوردي فيقول: إن سليمان باشا غادر بغداد بعد انتشار الطاعون فيها، ولم يكد يستقر به المقام في الخالص، حتى وصله نبأ من شيخ المنتفق يعلمه أن جيشاً سعودياً قادم نحو العراق، ولكن والي بغداد لم يكن في وضع يؤهله لمجابهة الخطر فترك الأمر لنائبه علي كيخيا. ولم يكن الكيخيا متحمساً للأمر أو راغباً فيه، واكتفى بالأمر باتخاذ الحيطة لمواجهة إزعاج متوقع، لكن ذلك الاحتياط كان متأخراً، حيث خرج من بغداد، ولكنه توقف في الدورة زاعماً أنه ينتظر التحاق العشائر به. وبينما كان على وشك مواصلة السفر من هناك، جاء خبر الحملة السعودية على كربلاء، فسار مسرعاً للقائه، ولكنه وصل متأخراً.[٧٣] وقيل إن علي كيخيا توقف في الحلة لأسباب اضطرته إلى هذا التوقف، وقد التحق به متسلم البصرة سليم بك؛ حيث رافق الحملة التي اتجهت إلى الهندية وعسكرت فيها. وربما كان خبر انتشار الطاعون في بغداد وما حولها قد فتّ في عضد رجال الحملة، وأخرها عن تنفيذ مهمتها، فاكتفى علي كيخيا بإرسال بعض القوات إلى كربلاء من قبيل الاحتياط.[٧٤]

وبعد أن أتمت القوات السعودية مهمتها في كربلاء، وفي طريق عودة أفراد الجيش السعودي إلى بلادهم، مروا بالنجف لمعاقبة أهلها، لكنهم وجدوا أهلها

---

[٧٢] العزاوي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٤٤.

[٧٣] الوردي، مرجع سابق، ج ١، ص ص ١٨٨-١٨٩؛ كوك، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٠٤.

[٧٤] الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢١٧؛ العزاوي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٤٤.

مستعدين لهم؛ حيث دافعوا عن بلدتهم دفاعاً مستميتاً. وقد جرى بين الطرفين تراشق بالرصاص قتل فيه من أهل النجف خمسة أشخاص، وبعدها انسحبت القوات السعودية عائدة إلى بلادها. [٧٥] وقد سارع أهل النجف بنقل خزانة المرقد الثمينة إلى الكاظمية مخافة أن يتكرر الهجوم عليها مرة أخرى.[٧٦]

تقويم الأحداث التي صاحبت الحملة:

تحدثنا في الصفحات السابقة عن الروايات الواقعية للحوادث التي صاحبت الحملة السعودية على كربلاء. ولأهمية هذا الموضوع سنتحدث عن تقويم هذه الحملة، وذلك من خلال ثلاث مسائل :

المسألة الأولى:

أن حادثة كربلاء، التي وقعت خلال هذه الحملة، استغلت استغلالاً سيئاً من بعض الأعراب، كما ذكرنا سابقاً. وفي هذا المجال يذكر الرحالة الإنجليزي فريزر: أن جميع العتبات التي كان لها قدسية خاصة قد جعلت ملاذاً لشرار الناس في المجتمع، وأكثرهم تفاهة، ومن المحتمل أن يكون هذا قد نشأ عن طبيعة الحماية التي تقدمها هذه الأماكن للناس من دون تفريق بينهم؛ ولأن هذه الحماية يستغلها في الدرجة الأولى أسوأ الخارجين على القانون من الناس بطبيعة الحال. وقد تجلى هذا الوضع في النجف وكربلاء، فقد ازداد عدد المتمردين المتجمعين هناك؛ بحيث لم يعد من الممكن لحاكم

---

[٧٥] جعفر محبوبة، **ماضي النجف وحاضرها**، ج ١، ص ٢٣٤.

[٧٦] خان، مصدر سابق، ص ٣٨٦.

المنطقة، ولا لسلطة الوالي أن تسيطر عليهم، وهؤلاء لا يفعلون ما يريدون فحسب، بل كانوا أيضاً يطلبون من الزوار، الذين يأتون لزيارة هذه الأماكن الإذعان لأوحش الطلبات وأبعدها عن المألوف والمعقول، وفي حالة عدم الانصياع للطلبات كانوا ينهبون أمتعتهم، ويجردونهم حتى من ألبستهم، كما يسلبون زوجاتهم وبناتهم في بعض الأحايين.[٧٧] وبناء على هذا الوضع الذي كانت تعيشه كربلاء، فليس هناك أدنى شك في أن هناك جماعة من المتمردين، وجماعة من الأعراب استغلوا فرصة هجوم السعوديين على قبائل الخزاعل، وعلى بلدة كربلاء ليأخذوا بعض ما وجدوه في القبة الحسينية من الأموال والجواهر. وهم يتحملون بلا شك وزر عدد كبير من القتلى، خصوصاً إذا عرفنا أن هؤلاء مكثوا في كربلاء يومين وليلة، بينما لم يمكث الجيش السعودي فيها إلا بضع ساعات ثم غادرها. ويؤيد هذا ما ذكر أبو طالب خان، وهو معاصر لتلك الأحداث، من أنه لم يستطع الاقتراب من المشهد خوفاً من أن يقتله قطاع الطريق، الذين كانوا يلبسون ملابس السعوديين، ثم يقول: ولما خرج السعوديون استفاد العرب المجاورون لكربلاء من الذعر الذي عم تلك النواحي فدخلوا المدينة ونهبوا جميع ما تركه الجيش السعودي، وقتلوا أيضاً عدداً كبيراً من السكان. وتشير إحدى الوثائق إلى أن شاه إيران أوعز إلى الشيعة الموجودين في بغداد بإثارة القلاقل وبث الدسائس والفتن، والاستيلاء على المدافع ومستودعات الذخيرة والأدوات الأخرى المحفوظة في كل البلاد، كما استولوا على القلعة، وبهذا تأكد فسادهم وخبثهم.[٧٨] ومع أن هذه الأعمال لا دخل للدولة السعودية بها من قريب أو بعيد، إلا

---

[٧٧] فريزر، **رحلة فريزر إلى بغداد**، ص ١٧٤، نقلاً عن: الحسني، عبدالرزاق، **تسخير كربلاء**، ص ص ٦-٧.

[٧٨] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٧٩٧، من قائمقام بغداد، علي بك، إلى السلطان، بتاريخ ٢٥ جمادى الأول ١٢١٧هـ.

أنها بتوافقها زمنياً مع حادثة كربلاء، فقد حُمّلت الدولة السعودية تبعتها زوراً وبهتان بفعل الدعاية السيئة التي ينشرها والي بغداد ضدها حتى بات يدّعى أن كل ما يحدث من قلاقل، أو سلب، أو نهب في أي مكان من العراق تتحمل تبعته الدولة السعودية.

المسألة الثانية:

أن الدولة السعودية قامت بهذه الحملة، وما نتج عنها من إزالة القبة الموضوعة على قبر الحسين في كربلاء، تنفيذاً للمبادئ التي قامت على أساسها الدعوة الإصلاحية السلفية، والتي من أهمها طمس أمثال هذه البدع. ومن هنا فإن هدم القبة الموضوعة على قبر الحسين لم يكن تجنٍ من الدولة السعودية، وإنما هو تطبيق للعقيدة الإسلامية التي قامت الدولة السعودية الأولى على أساسها. ومن يتهمها بأن لها أغراضاً أخرى بتهديمها القبة الموضوعة على قبر الحسين، فليعلم أن الدولة السعودية بدأت بتهديم القباب المقامة في نجد والأحساء قبل توجهها للعراق، وذلك عندما قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بنفسه بتهديم بعض القبور والقباب الموضوعة على تلك القبور، وخصوصاً قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة. ليس هذا فحسب بل إن الدولة السعودية بادرت، بعد ضمها مكة المكرمة والمدينة المنورة، إلى هدم جميع القباب والمشاهد، ما عدا قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقبري صاحبيه. يذكر ابن بشر في هذا المجال: أن سعود ابن عبدالعزيز دخل مكة المكرمة عام ١٢١٧هـ، وعندما انتهى من الطواف والسعي، فرّق أتباعه في أحياء مكة المكرمة، وأمرهم أن يهدموا القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية، وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير، في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها، فأقام فيها أكثر من عشرين يوماً. وقد استغرق هدم تلك القباب بضعة عشر يوماً حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أزالوها

وجعلوها ترابا.[٧٩] ويقول ديكسون عن ضم الأمير سعود لمكة: "ولم يظهر سعود عن تلك الحملة بمظهر العدو، بل بمظهر الحجاج، ومنع جنوده من السلب والنهب والاعتداء. والحادث الوحيد الذي، سمح به وتميز بالعنف هو تحطيم بعض القبور الكبيرة؛ بحيث هم أنفسهم قالوا لم تعد هناك أصنام في هذه المدينة الطاهرة".[٨٠] وفي عام ١٢٢٠هـ، طلب وفد من أهل المدينة الهدنة مع الإمام سعود فرد عليهم، لا هدنة، ولكن إذا عملتم بشروطي فتتم الهدنة، وشروطي هي "هدم القباب كلها ما عدا قبة السعادة ... وقد أجمع العلماء على أن ذلك موافق للشريعة، وأفتوا بهدم القباب التي في البقيع ماعدا قبة السعادة".[٨١] ويقول ابن بشر: بايع أهل المدينة سعوداً على دين الله ورسوله، والسمع والطاعة، وهدم جميع القباب التي وضعت على القبور والمشاهد.[٨٢] ويقول الأميني عن ضم الإمام سعود للمدينة المنورة عام ١٢٢٠هـ: وهدم القباب التي فيها، ومنها أئمة البقيع عليهم السلام.[٨٣]

ومن خلال هذه الحقائق، يتبين بدون شك أن الأمير سعود بن عبدالعزيز لم يكن هدفه من حملته على كربلاء، وهدم قبة قبر الحسين، وهدم المزارات والقباب في مكة والمدينة بعد ضمها للدولة السعودية، إلا الغيرة على الإسلام الذي انتهكت حدوده بإقامة هذه المزارات والقباب، التي أصبحت، على مر الزمان، تعبد تقرباً لله،

---

[٧٩] ابن بشر، مصدر سابق، ج ١، ص ١٦١.

[٨٠] ديكسون، مرجع سابق، ص ١٠٦.

[٨١] دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٣٣-١١، من شيخ الحرم النبوي إلى السلطان، بتاريخ ٢١ ذي القعدة ١٢٢٠هـ.

[٨٢] ابن بشر، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٦.

[٨٣] عبدالحسين أحمد الأميني، **شهداء الفضيلة**، ص ٣٠٣.

وهذا هو الشرك بعينه، فهل يقال بعد ذلك أن للدولة السعودية أهدافاً خاصة من جراء هدمها قبر الحسين في كربلاء.

المسألة الثالثة:

أن الحملة العسكرية التي قام بها الأمير سعود، والتي وقع خلالها بعض الأحداث، وخاصة في كربلاء لا يتعدى كونه حملة من جملة الحملات المتبادلة بين القوات السعودية وقوات والي بغداد، ولكن باعتبار أن هذه الحملة وصلت كربلاء التي لها مكانة خاصة لدى الشيعة، وأن هذه الحملة استهدفت مكاناً عزيزاً على نفوسهم، وهو مشهد الحسين، فقد عظّموا الأمور، مستغلين الدعاية السيئة التي أخذت الدولة العثمانية تنشرها ضد الدولة السعودية، وأخذوا يؤلفون الكتب المستفيضة عن أحداث كربلاء. وقد تطور هذا الأمر على مر السنين، وأخذ المؤرخون يعتمدون على هذه الكتب دون الإلمام بالأحداث عن كثب، أو حتى محاولة معرفة الحقيقة.

وللحقيقة نقول إن الحملة التي قامت بها القوات السعودية في كربلاء لم تكن الأولى، وليست الأخيرة، فقد سبقها ولحقها حوادث وقعت في هذه المدينة على يد جبهات أخرى أشد وأعنف بكثير مما وقع فيها إبان الحملة السعودية. فقد ذكر السيوطي أن المتوكل أمر في عام ٢٣٦هـ بهدم قبر الحسين ومن حوله من الدور، وأن يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته، وخُرّب، وبقي صحراء، فتألم المسلمون من ذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء.[٨٤] وذكر العاملي أن المتوكل أمر الرجل المعروف بالديزج بالمسير إلى قبر الحسين بن علي وهدمه وإزالة

[٨٤] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٧.

أثره، وأن يعاقب من وجد به، وبذل الرغائب لمن يقوم على ذلك.[٨٥] وفي المرة الثانية حصل التخريب لكربلاء على يد السيد علي بن محمد بن فلاح الواسطي المشعشعي؛ حيث هاجم المشاهد الدينية بالعراق في حياة أبيه، وأغار عليها ونهب ما فيها، وأبدى قسوة شائنة في الروضات، ونهب المشهدين الذين يلقيان تقديساً خاصاً، وقتل أهلهما قتلاً ذريعاً، وأسر من بقي منهم. وفي العام نفسه، قتل حجاج النجف ونهب أموالهم.[٨٦]

هذا عن الأحداث التي وقعت في هذه البلاد قبل عهد الدولة السعودية، أما الأحداث التي شهدتها كربلاء بعد عهد الدولة السعودية الأولى فهو أعنف وأشنع. فقد شهدت هذه البلدة أحداثاً في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد في شهر ذي الحجة عام ١٢٨٥هـ أي بعد حوالي نصف قرن من الحملة السعودية على كربلاء، وذلك في فترة ولاية نجيب باشا على بغداد (١٢٥٨-١٢٦٥هـ/ ١٨٤٢-١٨٤٨م) "الذي أمر بالشيء السيئ مع أهل المشهد المقدس، وقد قتل في هذه الكرّة جمع كثير من العلماء والسادات وغير أولي التقصير من المجاورين والزوار، وقد بلغ قتلاه عشرة آلاف من الرجال والولدان، غير النهب والسفارة الشديدتين. وحكي عمن شهد الواقعة من الثقاة، أنه لما أقبل العسكر أحصينا القتلى وسألنا الحفارين وتحققنا من ذلك فكان ما يزيد على عشرين ألفاً من رجل وامرأة وصبي، وكان يوضع في القبر الأربعة والخمسة إلى العشرة فيهال عليهم التراب بلا غسل ولا كفن، وتفقدنا القتلى منهم كثيراً في الدور والآبار، ووجدنا بالسرداب الذي تحت رواق العباس رضي الله عنه من القتلى

---

[٨٥] العاملي، **كشف الارتياب**، ص ٣٨٨.

[٨٦] الأميني، مرجع سابق، ص ص ٣٠٤-٣٠٦.

أكثر من ثلاثمائة.[٨٧] ويقول جعفر الخياط في وصف أعمال نجيب في كربلاء: "جرد على المدينة المقدسة جيشاً عرمرماً مزوداً بأحسن المدافع والعدد، وحاصرها لمدة خمسة وعشرين يوماً، وضيق عليها الحصار، وقد اتصل الأهالي بنجيب باشا، في خلال هذه المدة، طالبين الاستسلام لكنه لم يلتفت إليهم، وقد سلط قائده، سعدالله باشا، نيران مدفعيته على البلدة وسورها، وعلى الأخص من جهة باب النجف حتى أحدثت ثغرة واسعة فيها، وعند ذلك تدفقت من هذه الثلمة جموع المدافعين إلى الخارج والتحمت مع الجيش التركي المهاجم بمعركة حامية الوطيس. ولم تنته المعركة إلا بعد عدة أيام حين تغلبت قوات الأتراك النظامية، ودخلت البلدة في اليوم التالي من أيام عيد الأضحى المبارك عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٣م، فالتجأ قسم من الناس والمقاتلين إلى صحن الإمام العباس، ولم تتورع القوات التركية من قتل المئات اللائذين به بكل وحشية وقسوة. وقد انتهك نجيب باشا نفسه حرمة المكان، ودخل إليه وهو يمتطي صهوة جواده إمعاناً في التشفي والإذلال، ثم أبيحت المدينة إلى الجند والقوات المهاجمة، ومن كان يتبعها من العشائر الموالية للحكومة مدة يوم كامل، فنهبت البيوت والمخازن، وارتكبت الموبقات بكل وحشية ودناءة. وبعد ذلك نادى المنادي بالأمان، وعادت القوات الحكومية إلى ثكناتها".[٨٨] ويقول الحسني عن أعمال نجيب باشا في كربلاء: "وضرب حول المدينة حصاراً واسعاً، وضيّق على السكان حتى اضطروا إلى شرب مياه الآبار المجة، وقد استمر الحال على هذا المنوال ثلاثة وعشرين يوماً. وفي فجر يوم ١١ ذو الحجة، ١٣ كانون الثاني أخذت المدافع في إطلاق قنابرها على السور،

---

[٨٧] الأميني، المرجع السابق، ص ص٣٠٦-٣٠٧.

[٨٨] الخياط، جعفر، مرجع سابق، ص ص ٣٠٦-٣٠٨.

فاستطاعت أن تفتح ثغرة واسعة من ناحية باب النجف. وفي نفس الوقت، تسلق بعض الجنود السور وبدأوا يطلقون النار على كل من يلاقيهم، وتحمس الأهالي للمقاومة، وكان في كربلاء حامية إيرانية من الجنود وضعت لحماية القنصلية الإيرانية، وقد انضمت هذه القوات إلى الأهالي، وفي النهاية تغلبت القوات النظامية بعد أن استبسلت في القتال، وقد اضطر الأهالي إلى الاختفاء في ديارهم واحتمى عدد كبير بصحن العباس، وهكذا استباح الجند كربلاء مدة تتراوح بين الثلاث والخمس ساعات سبيت خلالها العائلات، وهدرت دماء الأبرياء من الشيوخ والأطفال، فلما حل المساء كانت المدينة في عداد الأموات. وقد ذكرت بعض الروايات أن نجيب باشا أصدر الأمر بقتل كافة الأهالي، ونهب جميع أموالهم، وقد استمرت استباحة البلدة ثلاثة أيام بلياليها. وقد قدر عدد القتلى والجرحى على يد نجيب باشا أكثر من عشرين ألف رجل، ومن تواضع منهم قدر عدد القتلى بتسعة آلاف، كما سلب الجيش من الأموال والأطعمة من مخازن أهل كربلاء حسب دفاتر التجار أربعة وثلاثين ألف طن.[٨٩]

وهكذا ومن خلال الحقائق السابقة يتبين لنا، بلا عناء، أن ما أثير حول حادثة كربلاء خلال الحملة السعودية، قد ضخم أكثر مما يستحق، وأن ما قيل عنها في أغلب الأحيان ما هو إلا دعايات مغرضة هدفها النيل من الدولة السعودية الأولى القائمة على مبادئ الدعوة الإصلاحية السلفية، وأن الدولة العثمانية تتحمل تبعة ترويج مثل هذه الدعايات. وبمعادلة بسيطة، ومن خلال المقارنة بين ما وقع في كربلاء خلال الحملة التي قامت بها الدولة السعودية الأولى، وبين ما وقع فيها على يد نجيب باشا، نقول: هل القوات السعودية دخلت كربلاء بدافع التخريب، أم لهدم المشاهد الشركية ؟، ثم

---

[٨٩] للمزيد من التفاصيل راجع: الحسني، **تسخير كربلاء**، ص ص ٣٠-٣٦، ٤٠-٤١.

الملاحظة الثانية:

إذا كانت النتائج مرتبطة بأسبابها، وأن الغايات تعطى حكم الوسائل، كالعكس، فإن التبعة في هذه الوقعة لا تقع على الإمام عبدالعزيز، وإنما تقع على والي بغداد التركي في ذلك العهد، والذي عاهد عبدالعزيز بن محمد ثم لم يف بالعهد، بل أحدث بعض الموالين له حدثاً فظيعاً، قتلوا أناساً يدينون بالولاء لعبدالعزيز، ولما طلب منه عبدالعزيز التقيد بنصوص الاتفاق وإرجاع ما أخذ المعتدون، وتسليم ديات القتلى عمد ذلك الوالي التركي إلى التسويف والمماطلة فحذره عبدالعزيز وأنذره، ولكنه أصر على عناده، و لم يستجب لما طلب منه من الوفاء، فما كان من عبدالعزيز إلا أن أرسل سرية انضاف إليها وانضوى تحت لوائها عدد غير قليل من أعداء الوالي، ومن أعداء أهل كربلاء، وبينهم من ليسوا من الموالين لعبدالعزيز بن محمد بن سعود فاهتبلوا الفرصة، وجرى في كربلاء ما جرى مما لا يصلح أن ينسب إلى الإمام عبدالعزيز بن سعود ولا إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب القائمة على ما أثر عن المصطفى صلى الله عليه وسلم من تنزيه الدين عن كل ابتداع وتحريف".[٩٠]

نتائج الأحداث التي تمخضت عنها الحملة:

تعتبر واقعة كربلاء أعظم وأخطر مجابهة وقعت بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية داخل نطاق ولاية بغداد، وقد تمخضت عنها نتائج بعيدة المدى أثرت على العلاقات بين البلدين. ومن أهم النتائج التي ترتبت على هذه الأحداث:

---

[٩٠] الجاسر، "جوانب من حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب"، **مجلة العرب**، السنة الرابعة، ج ٩، ربيع الأول ١٣٩٠هـ. ص ٧٦٤، ج ١، ربيع الثاني ١٣٩٠هـ، ص ص ٩٣٧-٩٣٨.

هل انتهكت كربلاء على يد الأمير سعود أو أحد جنوده، كما هو الحال في حادثة نجيب باشا؟، وهل سبيت العائلات خلال أو بعد الحملة السعودية كما حصل في حملة نجيب باشا؟، وهل بلغ عدد القتلى ما بلغ في غزوة نجيب باشا ؟. ثم يجب أن لا ننسى ما فعله الأعراب بعد حادثة كربلاء عام ١٢١٦هـ، وذلك بشهادة من عاصروا الأحداث، ثم نُسب ما فعله هؤلاء إلى القوات السعودية.

وفي الختام يجدر أن نورد تعليقاً منصفاً ذكره حمد الجاسر حول هذا الموضوع، رداً على مقال للأستاذ صالح الشهرستاني في جريدة الأخبار التي تصدر عن دار إطلاعات للنشر في إيران: "تكرر ذكر غزو كربلاء في مقال السيد الشهرستاني، وفي غيره من الكتب والصحف، ونحب أن نعلّق على هذا الموضوع بملاحظتين:-

الملاحظة الأولى:

أن تلك الحادثة أبرزت في كثير من الكتب بصورة مبالغ فيها. ومن المعروف أن كثيراً من الوقائع يحدث فيها من الأمور السيئة ما لا يصح أن ينسب إلى المتسبب في الواقعة نفسها. فواقعة كربلاء، إذا نظرنا إليها نظرة إنصاف وتجرد، لا يصح أن ننسبها إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ولا إلى الأفكار والآراء التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله، وذلك أن كثيراً من أهل البادية عملوا في تلك الوقعة من الأعمال ما لا يتفق مع تعليمات الرئيس الأعلى للدولة في ذلك العهد، ولا ما يتقيد بتعاليم الإمام المصلح. ومعروف أن رجال البادية في كثير من الأزمنة والأمكنة لا يضبطهم ضابط، ولهذا فمن الخطأ أن ننسب ما وقع في تلك الغزوة إلى الإمام عبدالعزيز أو إلى أفكار الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فهم أبعد الناس عن الخروج عن التقاليد العربية، وأقوى الناس في ذلك العهد، وأشدهم تصلباً بالتقيد بالتعاليم الإسلامية الصحيحة الكريمة.

---

(١) الجاسر، "...
الأول ٢٩٠

أولاً: تعتبر هذه الحملة بمثابة رد اعتبار للدولة السعودية التي انتهكت قوات والي بغداد بلادها مرتين. وكرد اعتبار لهيبتها توغلت القوات السعودية في عمق ولاية بغداد وإزالة كل أثر للحملات التي بعثها والي بغداد ضد الدولة السعودية. وأصبحت الدولة السعودية بعد هذه الحملة يحسب لها ألف حساب لدى كل من الولاة العثمانيين في الشام والعراق والحجاز وغيرها. ومن مظاهر ذلك أن والي بغداد علي باشا استشار السلطان في بعث رسالة باللغة العربية إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود تتضمن لومه على إزالة قبة قبر الحسين، وهدم قبة مشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مع التنويه أنه (الإمام عبدالعزيز) من أصحاب العلم والتقوى، ومشهور عنه الزهد والإصلاح. وأضاف أنه لا يحسن تخريب مثل هذا القبر، خاصة أن الإيرانيين يعتقدون فيه اعتقادات حسنة، وأن الذي حدث في كربلاء قد يثيرهم ويدفعهم إلى الهجوم على الدولة السعودية، وهذا يؤدي إلى إراقة دماء المسلمين فينبغي عدم تكرار ذلك. كما اقترح والي بغداد أن ترسل الدولة العثمانية مجموعة من علمائها لتقديم النصيحة والموعظة الحسنة للإمام عبدالعزيز، على أن يكونوا من القادرين على التأثير عليه، العارفين بالشؤون الخارجية. وقد وافق السلطان على موضوع الرسالة وأمر بإرسال الرسل.[٩١] وفي محاولة أخرى لتفادي نقمة الدولة السعودية، ولو بطريق الخداع، اقترح والي بغداد مصالحة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ومصافاته بشروط ملزمة، ثم إذا حان الوقت يُنقض الصلح والعهد معه.[٩٢] لكن الإمام عبدالعزيز لم ينخدع بتلك

---

[٩١] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٨١٦، من والي بغداد علي باشا، إلى السلطان، دون تاريخ.

[٩٢] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٧٧٨، من والي بغداد إلى السلطان، دون تاريخ.

الرسائل؛ لمعرفته بنوايا والي بغداد تجاه الدولة السعودية، ولهذا فقد لجأ والي بغداد بمشاورة نائبه، أحمد كتخدا، إلى الغدر بالأمير سعود بن عبدالعزيز؛ وذلك بالسماح له بالإقامة في القرى والضواحي القريبة من بغداد ليتمكنا من الوقيعة به وأسره، ولكن هذه الحيل لم تنطل على الأمير سعود.[٩٣]

ثانياً: أن هذه الحملة نبّهت الدولة العثمانية إلى ضرورة القيام بعمل حاسم ضد الدولة السعودية يشترك فيه جميع ولاتها في العراق والشام ومصر. كما اقترح سليمان باشا على السلطان الاستعداد من جهة البحر، وذلك بطلب العون من بريطانيا، التي تملك سفناً حربية في ممتلكاتها في الهند، وذلك باعتبارها صديق مخلص ومحب للدولة العلية.[٩٤]

ثالثا: كانت هذه الحملة، وما رافقها من أحداث في كربلاء، فرصة لخصوم الدولة السعودية وخصوصاً الدولة العثمانية، ووالي بغداد ليظهروا الدولة السعودية وزعماءها وأتابعها بمظهر الخارجين على الإسلام، ليكسبوا من جراء ذلك تأييداً شعبياً.[٩٥] وبصفة خاصة استغل والي بغداد، علي باشا، هذه الحادثة وبدأ يرغب أتباع الدولة السعودية، ويتألف قلوبهم ويكرمهم وينعم عليهم بالخلع المزركشة والطعام والمال والذخائر المختلفة. ونتيجة لجهوده هذه، تأثر بها ذوو النفوس

---

[٩٣] الديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٧٩٧، من قائمقام بغداد، علي بك، إلى السلطان، بتاريخ ٢٥ جمادى الأول ١٢١٧هـ.

[٩٤] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٧٦٥، من سليمان باشا إلى السلطان، بتاريخ ١٠ ربيع الأول عام ١٢١٦هـ، دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٣/ ١-٢٥ من سليمان باشا إلى السلطان، بتاريخ ١٢١٧هـ.

[٩٥] عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٣٠٩.

الضعيفة، فضلاً عن الذين لجأوا إلى العراق أثناء الحرب. فقد ذكر والي بغداد أن عدد من ترك نجداً بلغ ثمانية عشر من الرؤساء والمشايخ.[٩٦] ولكن على الرغم من ذلك، فإن من عرف الدعوة الإصلاحية السلفية وتأثر بها وهاجر إلى الدولة السعودية منذ حادثة كربلاء يفوق هذا العدد بكثير. وقد اعترف بذلك والي بغداد نفسه عندما ذكر أن بعض العشائر انضمت إلى الدولة السعودية.[٩٧]

رابعاً: كان من نتيجة هذه الحملة استبعاد قيام علاقات ودية بين المماليك والدولة العثمانية من جهة، والدولة السعودية من جهة أخرى، كما زادت من الجفاء بين الطرفين. وقد قامت العشائر العراقية، من جراء تلك الحملة، بدفع الزكاة للدولة السعودية لفترة تزيد على عشر سنوات، أي حتى عام ١٢٢٧هـ، عندما نزلت قوات محمد علي باشا، والي مصر، إلى ساحل الحجاز لتبدأ حملات شرسة للقضاء على الدولة السعودية، كما سيأتي تفصيله في الفصل الخامس.[٩٨]

خامساً: لقد أحدثت هذه الحملة دوياً هائلاً لدى البلاطين الفارس والعثماني، كما انتشر بسببها الفزع والرعب في معظم قرى ومدن العراق العثماني، مما جعل السلطات العثمانية في العراق تنشط في تسويرها، كما أرسل سليمان باشا بعض رجاله لنقل خزينة النجف إلى خزينة موسى الكاظم.[٩٩] ومن جهة أخرى قامت

---

[٩٦] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٧٨١، من والي بغداد، علي باشا، إلى السلطان، بتاريخ ٢٩ ذو القعدة ١٢١٩هـ.

[٩٧] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٦٦٧٨، من والي بغداد، علي باشا، إلى السلطان، بتاريخ جمادى الأول ١٢١٧هـ.

[٩٨] السوداني، مرجع سابق، ص ص ٣٥-٣٦.

[٩٩] نوار، مرجع سابق، ص ٣٩.

الدولة العثمانية بتعمير ما تخرّب من كربلاء وإعادة بناء أسوارها، ثم أمدها الفرس ببعض آلات الحرب كالمدافع، كما أرسل بعض ملوك الهند الإسلامية كثيراً من المدافع والقنابر، وبذلك حصّنت كربلاء تحصيناً كاملاً.(١٠٠)

سادساً: كانت هذه الحملة صدمة مميتة لسليمان باشا، الذي تمتع طوال فترة حكمه بانتصارات حافلة على الثورات الداخلية. وقد أصيب بالذهول لدرجة أنه عجز عن اتخاذ أي إجراء مضاد. وقد عرض على هارفورد جونز، المقيم البريطاني في بغداد، ليتوسط لدى السعوديين للإفراج عن الأسرى والتفاهم على طريقة دفع الفدية. وقد أثر عن سليمان باشا قوله قبل وفاته: "إنه لا يجوز أن أبقى حياً بعد واقعة كربلاء".(١٠١) وبالفعل لم يمض وقت طويل حتى سقط مريضاً من شدة تأثره بهذه الأحداث، التي اعتبر نفسه مسؤولاً عنها. وقد بذل الأطباء غاية جهدهم في علاجه، لكن المرض اشتد عليه، ولم يمهله سوى اثني عشر يوماً حيث توفي يوم السبت ٨ ربيع الثاني ١٢١٧هـ/١٨٠٢م عن عمر ناهز ٧٢ عاماً بعد أن قضى في حكم ولاية بغداد أربعاً وعشرين سنة.(١٠٢)

سابعاً: لقد ألهبت هذه الأحداث حماس الشعراء فأطلقوا لأنفسهم العنان في وصف ما حدث في كربلاء والترحم على القتلى وتهييج الرأي العام ضد الدولة السعودية التي وصفوها بالخروج على الإسلام، ظلماً وجهلاً.(١٠٣)

---

(١٠٠) لمع الشهاب، مصدر سابق، ص ٨٩.

(١٠١) كيلي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٨.

(١٠٢) سركيس، مرجع سابق، ص ٥٤؛ وانظر كذلك مقال "لمعة من تاريخ بغداد في عهد سليمان باشا"، مقال سابق، ص ١٤٨.

(١٠٣) لمزيد من المعلومات عن ما قيل من الشعر في واقعة كربلاء، راجع: الوائلي، مرجع سابق، ص ١٢١؛ الأميني، مرجع سابق، ص ص ٢٨٩-٣٠٢؛ هادي الطعمة، **شعراء من كربلاء**، ص ص ١٤٥-١٤٦.

ثامناً: لقد تأثر الإيرانيون مما حدث في كربلاء، بوجه خاص، تأثراً بالغاً، نظراً لوجود بعض الزائرين منهم في كربلاء وقت وقوع الحادث من جهة، ولتعظيمهم الشديد للأماكن الشيعية في كل من النجف وكربلاء من جهة أخر. وقد أعلن الشاه فتح علي القاجاري الحداد في أنحاء إيران، ولبس السواد هو وحاشيته، كما أقيمت المآتم في كل مكان.[١٠٤] كما شعر الإيرانيون بالتذمر الشديد، خاصة بعد وصول أخبار هذه الحادثة وتفاصيلها. وقد طلب الشاه من والي بغداد الإسراع في تجهيز حملة تأديبية ضد الدولة السعودية، وأنذره بأنه سيسير بنفسه لتأديبهم عبر العراق إذا لم يفعل ما طلبه منه، وقد تسلم سليمان باشا هذا الإنذار وهو في الرمق الأخير فلم يستطع الرد عليه.[١٠٥]

ويبدو أن سليمان باشا خشي أن يجرّد شاه إيران ضده حملة بحجة حماية "الأماكن المقدسة"، وقد سارع بإرسال تحذير إلى السلطان، بأن الشاه استغل حادثة كربلاء في إثارة المشاعر وتهييج الشعب الإيراني، ولهذا فإننا لا نأمن أن يهاجمنا في بغداد، خصوصاً أن المسافة بيننا وبينه تقدر ما بين ١٠-١٥ يوماً، لذلك فإننا نرى، حسماً للموضوع، البدء بمهاجمة الدولة السعودية من ثلاث جهات: الأحساء، وعمان وبغداد.[١٠٦] وفي رسالة أخرى قال سليمان باشا: "إن الإيرانيين غير مقتنعين بقيامهم بالزيارة وقضاء وطر الحاجة، ولكنهم يفكرون في أن يستحوذوا على المشاهد المشرّفة

---

[١٠٤] الوردي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٣.

[١٠٥] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٨١٦،، من والي بغداد، علي باشا، إلى السلطان دون تاريخ.

[١٠٦] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٧٩٧ب، من سليمان باشا إلى السلطان، بتاريخ ١٩ رجب ١٢١٧هـ.

في حماهم، وينتظرون الفرصة السانحة، ويترصدون لنا قطعاً.[١٠٧] ويبدو من أعمال شاه إيران، أنه اتخذ حادثة كربلاء كبش فداء ليتمكن من مهاجمة العراق، وقد أكدت الدولة العثمانية لواليها في بغداد، سليمان باشا، أن شاه إيران بدأ يتصرف بطريقة تدل على أنه يحس بأن الدولة العثمانية مشغولة، ولذلك طلبت منه تجهيز العساكر بقدر الإمكان لأخذ الحيطة والحذر، وحذرت من الاطمئنان إلى نواياهم وخدعهم.[١٠٨]

وعندما تولى علي باشا ولاية بغداد كرر مخاوف سلفه سليمان باشا؛ حيث ذكر للسلطان أنه لاحظ أن أهالي إيران سيتخذون ذلك ذريعة للاعتداء على الممالك السلطانية، فينبغي تحرير الرد اللازم على رسالة شاه إيران، التي وردت مع سفيره بخصوص هذا الموضوع".[١٠٩] وفي رسالة أخرى إلى السلطان، بعث والي بغداد، علي باشا، مسودة الرسالة التي اقترح أن ترسل إلى شاه إيران باللغة الفارسية، تتضمن إرساء الصداقة والصفاء بين الدولة العثمانية وإيران.[١١٠] وعلى كل، فإن الشاه والسلطان العثماني لم يكونا في وضع يساعدهما على الدخول في حرب ضد الدولة السعودية، خصوصاً بعد

---

[١٠٧] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٦٦٩٠، من سليمان باشا إلى معتمده بالآستانة، دون تاريخ؛ وكذلك الوثيقة رقم ٦٧١٤، من سليمان باشا إلى الصدر الأعظم، دون تاريخ.

[١٠٨] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٨٢٨، من الصدر الأعظم إلى سليمان باشا، بتاريخ ٢١ ربيع الثاني ١٢١٦هـ.

[١٠٩] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٨١٦، من والي بغداد، علي باشا، إلى السلطان دون تاريخ.

[١١٠] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٦٦٨٥، من سليمان باشا إلى الصدر الأعظم. بتاريخ ١٩ربيع الأول ١٢١٧هـ.

الهجوم المفاجئ الذي قامت به الدولة الروسية على حدود إيران الشمالية "فشغل الشاه بمحاربة الكفرة الروس".[١١١] وبدلاً من ذلك، اكتفى بعرض خدماته على والي بغداد؛ حيث عرض عليه إرسال جيش لمساعدته في الرد على السعوديين، لكن سليمان باشا رد عليه بقوله: إننا في ظل السلطان لسنا بحاجة إلى مثل هذه المعونات.[١١٢]

[١١١] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٣٧٧٩، من والي بغداد، علي باشا، إلى السلطان، بتاريخ ٢٧ جمادى الأول ١٢١٩هـ.

[١١٢] المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس الوزراء باستانبول، وثيقة رقم ٦٦٩٠، من سليمان باشا إلى السلطان، دون تاريخ. دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٣/ ١-٢٩ من سليمان باشا إلى السلطان، دون تاريخ. وانظر كذلك: الوردي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٣؛ سيتون لويد، **الرافدان: موجز تاريخ العراق**، ص ٢٤٩.